مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد العشرون - المجلد الرابع - التاريخ - كانون الأول 2022 م
doi.org/10.52866/esj.2021.04.20.04

الأمير مودود بن التونتكين وأثره السياسي في الدولة السلجوقية (دراسة تاريخية)

المدرس الدكتور: غسان هادي زغير الجبوري
جامعة الكرخ للعلوم / المكتبة المركزية

مستخلص:

يسلط هذا البحث الضوء على احد امراء السلاجقة البارزين الا وهو الامير مودود بن التونتكين ، اذ تُعد شخصيتهُ من الشخصيات المهمة والبارزة والتي كان لها دور كبير في تاريخ الدولة السلجوقية ، فضلاً عن دورهُ السياسي المهم في امارة الموصل واحداثها ، وكذلك نلتمس من خلال البحث كيف تمكن هذا الامير السلجوقي من لعب دور هام في توحيد جهود الامراء المسلمين لمواجهة خطر الغزو الصليبي وكيف قاد بنفسه الحملات العسكرية والتي ستبين ذلك من خلال صفحات هذا البحث المتواضع .

The Prince Mawdud bin Altontakin and his political impact on the Seljuk state: (historical study)

Instructor , Dr. Ghassan Hadi Zghair Al-Jubouri
Al-Karkh University of Science / Central Library

Abstract :

This research sheds light on one of the eminent Seljuk princes, Prince Mawdud bin Al-Tuntkin. This Seljuk prince played an important role in unifying the efforts of the Muslim princes to confront the danger of the Crusader invasion and how he personally led the military campaigns, which will be shown through the pages of this modest research .

المقدمة :

كان ظهور السلاجقة (429هـ/ 1037م) على مسرح الاحداث مؤشراً لمرحلة جديدة من تاريخ الدولة العربية الاسلامية، إذ تُعد سنة (489هـ/ 1095م) نهاية سلطة الخلافة العباسية كسلطة سياسية على الموصل[1] واقليم الجزيرة حيث اصبحت هذه البلاد تحت حُكم السلاجقة الذين كانوا يقطعونها لأمرائهم المُقدمين لديهم على ان يقدم هؤلاء ولائهم وارتباطهم المباشر بالسلطان السلجوقي، فيخطبون باسمه وينفذون أوامره ويوفون بكافة الالتزامات المالية المترتبة على ذلك، واذا ما فكر احدهم بالعصيان او الاستقلال بإمارته فهذا بحد ذاته كفيل بعزله عن الامارة حتى لو ادى ذلك الى نشوب الحرب بين الطرفين[2] ، كما سيتضح لنا ذلك من خلال تتبع العلاقة بين الامراء وسلاطين السلاجقة .

يُعد السلطان محمد بن ملكشاه[3] (499- 512هـ/ 1105- 1118م) من السلاطين الاقوياء الذي كان لهم الاثر الكبير في توسعة رقعة الدولة السلجوقية حيث خطب له على المنابر وضربت السكة باسمه وتلقب بألقاب كثيرة، ودخل في حروب ونزاعات حتى استقر له الأمر، وعلى الرغم من ذلك فأن التمردات لم تهدأ في عصره حتى مع ولاته[4]، فقد أشار ابن الاثير «في هذه السنة] أي سنة 500هـ/ 1106[في محرم اقطع السلطان محمد جاولي سَقاوو[5] الموصل، والأعمال التي بيد الامير جكرمش[6]، وكان جاولي قبل هذا قد استولى على البلاد التي بين خُورستان وفارس، وأقام بها سنين، وعمر قلاعها وحصونها، وأساء السيرة في أهلها،

(1) المَوصِل : بالفتح وكسر الصاد، مدينة مشهورة احدى قواعد بلاد المسلمين قليلة النظير كبراً وجمالاً وهي محط رحال الركبان ومنها يقصد الى جميع البلدان ، فهي باب العراق ومفتاح خراسان وقيل ان بلاد الدنيا العظام ثلاثة، نيسابور لأنها باب الشرق، ودمشق لأنها باب الغرب، والموصل لأن القاصد الى الجهتين قل ما لا يمر بها ، وسميت بالموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل وصلت بين دجلة والفرات. للمزيد ينظر الى: ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت:626هـ/ 1228م)، معجم البلدان، ط1، (بيروت: دار صادر، 1977م)، ج5، ص224.

(2) الجميلي، رشيد عبد الله ، امارة الموصل في العصر السلجوقي، (بغداد: مكتبة المهتدين الاسلامية ، 1980م)، ص98.

(3) محمد بن ملكشاه : هو السلطان غياث الدنيا والدين ابي شجاع محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، ولد في الثامن عشر من شعبان سنة (474هـ/ 1081م)، أمه ام ولد وهو أخو السلطان بركياروق، بعد ان تولى الحكم استوزر مؤيد الملك عبيد الله بن نظام الملك، مرض السلطان محمد في شهر شعبان وزاد مرضه الى ان توفي في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة (511هـ/ 1117م). للمزيد ينظر الى : ابن الاثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ت:630هـ/ 1232م)، الكامل في التاريخ ، تح: مكتب التراث ، ط2 ، (بيروت: دار إحياء التراث العربي ، 2009م)، ج8، ص619 ؛ ابو الفدا، عماد الدين اسماعيل بن علي(ت:732هـ/ 1331م)، المختصر في أخبار البشر، تح: محمد زينهم ،ط1، (القاهرة: دار المعارف ،1962م) ، ج2، ص211.

(4) الجميلي ، امارة الموصل في العصر السلجوقي ، ص99.

(5) جاولي سَقاوو : هو الامير جاولي(500 – 502هـ/ –1106 1108م) احد امراء السلاجقة الكبار، عرف بالمكر والدهاء والخداع ، دخل في معارك كثيرة مع الافرنج الصليبيين، حكم الموصل وتمرد على السلطان محمد بن ملكشاه الا انه قصده بعد ذلك مرة أخرى لعلمه بحلمه وكرمه فرضى عنه السلطان واقطعه بلاد فارس، فسار اليهم يحارب ولاتهم ووطأهم ذلاً وقتلاً، توفى في بلاد فارس سنة (510هـ/ 1116م) وقيل سنة (516هـ/ 1122م) في مدينة مرو الروز . للمزيد ينظر الى : ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر،ج4، ص229 .

(6) جكرمش : هو شمس الدولة جكرمش احد امراء السلطان ملكشاه السلجوقي ، تولى أمارة الموصل سنة (500-495هـ/ 1106-1101م)، يُعد من خيار امراء السلاجقة سيرةً وعدلاً واحساناً، تمكن جاولي سقاوو من أسرهُ في المعركة بعد تفرق اصحابه ولأنه كان مريض بالفالج حيث كان يحمل بالمحفة ثم قتله بعد ذلك سنة (500هـ/ 1106م) وهو في الستين من عمره . للمزيد ينظر الى: ابو الفدا ، المختصر في أخبار البشر، ج4، ص227.

وقطع أيديهم وجدع أنوفهم وسمل أعينهم...»[1]، فأرسل إليه السلطان محمد احد قادته الاكفاء لرده عن ظلمهِ وهو الامير مودود بن التونتكين (502 – 507هـ/ 1108– 1113م)[2] حيث كان هذا الظهور الاول للأمير مودود الذي هو محور بحثنا .

المبحث الاول

أولاً : حياته وشخصيته

يُعد القائد شرف الدولة مودود بن التونتكين احد أمراء السلاجقة الكبار وهو من التركمان الأخيار، كان رجلاً فاضلاً عالمًا مجاهدًا ، قال ابن الأثير في حقه: «وكان خيِّرًا ، عادلًا ، كثير الخير»[3] .

ووصفه الفارقي بأنه «من خيار الملوك ديناً وشجاعة وخيراً»[4] ، ويُعد ايضاً من ابرز قادة السلطان محمد بن ملكشاه حيث اظهر كفاءة ومقدرة عالية في تنفيذ المهام الموكلة إليه واستطاع ان يبذل جهوداً كبيرة في اخماد الفتن والاضطرابات في الاقاليم المختلفة التي كانت تابعة للسلطان السلجوقي[5]، أضافة الى ان الامير مودود كان يتمتع بمهارات عسكرية وادارية عالية جعلته محط ثقة السلطان وهذا ما سنلاحظه في مجريات الاحداث القادمة .

اذ ذكر بعد الحصار الذي فرضه الامير مودود بن التونتكين على جاولي سَقاوو والذي استمر قرابة ثمانية أشهر أمره بالنزول على طاعة السلطان محمد[6]، الامر الذي دعا جاولي الى مراسلة السلطان وطلب منه قائلاً: «إنني لا أنزل إلى مودود ، فإن أرسلت غيره نزلتُ فأرسل إليه خاتمه مع أمير آخر ، فنزل جاولي ، وحضر الخدمة بأصبهان، فرأى من السلطان ما يحب»[7]، ولعل هذا يدل على حنكة السلطان محمد في التعامل مع خصومه ومناوئيه فضلاً عن قوة وحنكة الامير مودود الذي ارغم الامير جاولي على الاستسلام دون قتال .

ثانياً: دخول الأمير مودود بن التونتكين امارة الموصل

ثم لم يلبث السلطان محمد ان عهد الى الامير جاولي سقاووا في سنة (500هـ/ 1106) بقتال الفرنج الصليبيين واقطعه الموصل مرة أخرى، والذي يبدوا ان سياسة هذا الامير تجاه السلطان لم تتغير[8]، حيث قام جاولي سقاووا بالتمرد ثانيةً محاولاً الانفصال عن السلطان محمد السلجوقي نهائياً فشيد سور الموصل بعد ان نهب المدينة وامتنع عن دفع الضرائب وتقديم الاموال للسلطان، وساءت العلاقة بينهما الى حد الذي امتنع جاولي عن مساعدة السلطان محمد لمواجهة

(1) الكامل في التاريخ ، ج12، ص468 .
(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،ج12، ص468.
(3) الكامل في التاريخ ،ج12، ص513.
(4) احمد بن يوسف بن علي بن الازرق (ت:577هـ/ 1181م)، تاريخ آمد وميافارقين ، تح: بدوي عبد اللطيف عوض، ط1، (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، 1959م) ، ص275.
(5) ابن القلانسي ، أبي يعلى حمزة (ت:555هـ/ 1160م)، ذيل تاريخ دمشق، ط1، (بيروت: مطبعة الآباء، 1908م)، ص159؛ الفارقي، تاريخ آمد وميافارقين، ص276؛ الجميلي ، امارة الموصل في العصر السلجوقي ، ص125 .
(6) ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون (ت:808هـ/ 1406م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر المسمى بـ (تاريخ ابن خلدون)، تح: خليل شحاذة ، ط1، (بيروت: دار الفكر ، 2000م)، ج5، ص44 .
(7) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج12 ، ص469 .
(8) ابو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل (ت:665هـ/ 1266م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح: ابراهيم الزيبق، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية ، 1997م)، ج1، ص75 ؛ ابن واصل، محمد بن سالم بن نصر الله (ت:697هـ/ 1298م) ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تح: جمال الدين الشيال وآخرون ، ط1، (القاهرة: المطبعة الاميرية ،1997م)، ج1، ص33 .

اعدائه[1] واظهر مخالفته بل تحالف معهم ضده[2]، الامر الذي دفع السلطان محمد بن ملكشاه الى أرسال الأمير مودود بن التونتكين للمرة الثانية الى الموصل سنة (501هـ/ 1107م) لتخليصها من تمرد وظلم حاكمها جاولي سَقاوو[3] .

ويبدو لي أن عودة السلطان محمد السلجوقي للاستعانة بخدمات الامير جاولي واقطاعه الموصل من جديد رغم تمرده لأكثر من مرة هو بسبب خبرة الاخير بأمور الحرب والدهاء والتمرس بقتال الفرنج الصليبيين لأنه دخل بمعارك عديدة معهم .

وفي المقابل كان أهل الموصل لا يحملون أي مشاعر وديه تجاه الامير جاولي سقاوو، بل العكس كانوا يضمرون له الكراهية والحقد لأنه كان سيئ الخلق وحشياً في تعامله معهم اضافة الى أنه اتخذ بعض الاجراءات الصارمة بحقهم ومنها حبس وجهاء وأعيان المدينة واخراج ما يزيد عن عشرين الف من ابنائها الاحداث وادخار المؤن والقوت عنهم ولم يكتفِ بهذا فحسب بل «ونادى: متى اجتمع عاميان على الحديث في هذا الأمر قتلتهما، وخرج عن البلد، ونهب السواد»[4] .

ترك جاولي زوجته بالمدينة بعد ان اسكنها القلعة ومعها الف وخمسمائة فارس من الاتراك وغيرهم من الجنود، ويبدو أن الزوجة لم تختلف كثيراً عن اسلوب زوجها باستخدام القوة والقسوة ضد اهل الموصل فعمدت الى حبس من بقي بالمدينة وعسفت على نساء الخارجين عنه وبالغت في الاحتراز عليهم، فأزعجهم ذلك ودعاهم الى مقتها والانحراف عنها هذا ما كان بالداخل، اما في الخارج فقد حاصر الامير مودود بن التونتكين مدينة الموصل بدءً من شهر رمضان سنة (501هـ/ 1107) وحدث خلالها اشتباك بسيط بين الطرفين لم يتمكن خلالها الامير مودود من اقتحام المدينة لحصانة ابراجها والسور فضاق الامر على الناس حصاراً من الخارج والظلم والجوع في الداخل وجنود جاولي يمنعوهم الاقتراب من الأسوار خوفاً من انحيازهم لمعسكر السلطان[5] .

فأستغل هذا الموقف مجموعة من المناوئين للأمير المتمرد وفي مقدمتهم شخص يعرف باسم سعدي[6] وقيل سعد بن فائق ويبدوا أنه كان احد الجصاصين الذي يعمل بالمدينة فتعاهدت المجموعة على فتح ابواب القلعة وتسليم المدينة لأتباع السلطان محمد وبالفعل تم ذلك بعد ان هجموا على جنود احد الابراج وقت صلاة الجمعة مستغلين وجود الناس بالمساجد لأداء الفريضة والجنود نياماً ولم يشعروا بهجومهم حتى تمكنوا من قتلهم واخذوا اسلحتهم وتم القاء جثثهم

(1) ذكر ابن الاثير، ان السلطان محمد كان قد انكر على صدقة بن مزيد امير الحلة بعض الامور فسار الى العراق لقتاله وعندما وصل الى بغداد أمره بالحضور بين يديه لكن صدقة قال: «إذا رحل السلطان عن بغداد أمددته بالمال والرجال، وما يحتاج إليه في الجهاد ، أما الان ، وهو ببغداد ، وعسكره بنهر الملك، فما عندي مال وغيره، وإن جاولي سقاوو، وإيلغازي بن أرتق، قد أرسلا إلي بالطاعة لي والموافقة معي على محاربة السلطان وغيره، ومتى أردتهما وصلا إلي في عساكرهما» للمزيد ينظر إلى : الكامل في التاريخ ، ج12، ص481 .

(2) الحسيني ، صدر الدين ابي الحسن علي بن أبي الفوارس، اخبار الدولة السلجوقية، (طهران: مطبعة لاهور، 1933م)، ص81 ؛ اليافعي، عبد الله بن اسعد بن علي (ت:768هـ/ 1366م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان،(بيروت: دار الكتب العلمية ،1970م)، ج3، ص169.

(3) اليافعي ، مرآة الجنان، ج3، ص169 ؛ الجميلي ، امارة الموصل في العصر السلجوقي ، ص120.

(4) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ج12، ص489؛ الجميلي، امارة الموصل في العصر السلجوقي ، ص121.

(5) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق ، ص161 ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ ،ج12، ص490؛ الجميلي ، امارة الموصل في العصر السلجوقي ، ص122 .

(6) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ،ج12، ص490؛ الجميلي، امارة الموصل في العصر السلجوقي ، ص121 .

على الارض وبعدها سيطر المنتفضين على برج آخر فعم الاضطراب والفوضى بالمدينة وقصدهم مائتين فارس من جنود الامير جاولي يرموهم بالنبال وهم يقاتلون وينادون باسم السلطان محمد بن ملكشاه فأسرع اليهم جند الامير مودود بن التونتكين الذي كان يتحين هذه الفرصة فدخل مدينة الموصل في 26محرم من سنة (502هـ/ 1108م) وسط ترحيب وهتافات السكان فأمر مودود أن ينادى بالمدينة بعودة الاهالي الى بيوتهم واملاكهم واحسن اليهم[1]، أما زوجة جاولي فأقامت بالمدينة ثمانية أيام ثم طلبت خلالها الامان من الأمير مودود فمنحها ذلك وخرجت من المدينة[2].

والذي يبدو لنا ان الامير مودود نجح في تنفيذ المهمة التي بعثه بها السلطان محمد بن ملكشاه في القضاء على التمرد بالموصل وبنفس الوقت استطاع كسب ود واحترام أهلها ومن ثم الاستعداد لخوض المهمة الاكبر والاصعب وهي مقاومة الافرنج الصليبين .

المبحث الثاني

أولاً : الأمير مودود بن التونتكين ودوره السياسي في الحروب الصليبية

بدء الأمير مودود بترتيب الاوضاع الداخلية في الموصل بعد الفتن والاضطرابات والحروب التي مرت بها المدينة في السنوات السابقة ، وسار بين اهلها بالعدل والاحسان فأحبه الجميع ودانوا له بالولاء والطاعة ، ثم شهدت الموصل نوعاً من الاستقرار الداخلي وذلك بسبب عدم رغبة الاخير بالتمرد او الانفصال عن السلطان السلجوقي أضافة الى ذلك فقد حاول تكريس جهدهُ ومدة حكمهِ لمقاومة الغزو الصليبي[3]، إذ تُعد الحروب الصليبية أو ما يسمى بـ (حروب الإفرنج) حدثاً هاماً في تاريخ العصور الوسطى وخاصة منطقة الشرق الادنى والتي مرت على العرب المسلمين منذ عام (490هـ/ 1096م) ، وهي سنة دخولهم الى بلاد الشام حيث تمخضت هذه الحملات عن إقامة اربع أمارات صليبية في كل من بيت المقدس والرها وانطاكية[4] وطرابلس[5] ومن دون شك فان هذه المناطق اثرت بشكل او بآخر جغرافياً وسياسياً على المدن القريبة منها وشكلت ايضاً خطراً كبيراً على الدولة السلجوقية، لذلك دخل السلاجقة بتحالفات مع القوى المجاورة من اجل دفع الخطر الصليبي عنهم[6].

وهذا ما دعا الأمير مودود أن يعلن الجهاد ضد الصليبين في سبيل نصرة دولة الاسلام، وكانت بادرته الاولى هي توحيد الجهود وجمع الشتات ومن ثم بدءَ بمراسلة من حوله من الأمراء لجمع جيوشهم تحت راية واحدة وهدف واحد وهو طرد الصليبيين من بلاد المسلمين وحماية حدود الدولة السلجوقية، ومن هنا يبرز دور الامير مودود بن

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق ،ص605 ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ ،ج12، ص491؛ السرجاني، راغب ، قصة الحروب الصليبية ، ط2، (بيروت: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع ، 2009م)، ص249.

(2) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ،ج5، ص46.

(3) الرويضي، محمود محمد فالح، أمارة الرها الصليبية (490 – 550هـ/ 1097 – 1155م) أطروحة دكتوراه منشورة، الجامعة الاردنية، كلية الدراسات العليا ،1997م، ص283.

(4) انَطاكية: بالفتح ثم السكون والياء المخففة، مدينة يونانية (antichia) بناها انطيخس وهو الملك الثالث بعد الاسكندر المقدوني سنة (300 ق.م)، تقع غربي حلب على النهر العاصي [تركيا حالياً] على حافة وادٍ خصب معتدل المناخ، وتعتبر من الثغور الشامية. للمزيد ينظر الى : ياقوت الحموي، معجم البلدان ،ج1، ص266.

(5) طرابلس : مدينة مبنية من الصخر على ساحل بحر الروم، وهي ارض خصبة حصينة جداً، وبين طرابلس ودمشق مسافة تسعون ميلاً . للمزيد ينظر الى: الاصطخري، ابراهيم بن محمد (ت:346هـ/ 957م)، المسالك والممالك، ط1، (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة ، د.ت)، ص33.

(6) الجنزوري، علية عبد السميع، إمارة الرهـا الصليبية، ط1، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب ،2001م) ، ص9.

التونتكيين في مقارعة الغزو الصليبي كما سنلاحظ ذلك من خلال حملاته العسكرية التي خاضها ضدهم[1].

ثانياً: الحملة الاولى حصار مدينة الرهـا (503هـ/ 1110م)

ولعل من المناسب قبل البدء بتوضيح الحملات العسكرية التي قادها الامير مودود بن التونتكين على مدينة الرها لابد من معرفة اسباب هذه الحملة، اذ تُعد إمارة الرها أولى الامارات الصليبية التي أسسها الصليبيون في الشرق[2] بزعامة الكونت بلدوين الثاني[3].

ولهذا يرى بعض الباحثين أن تأسيس امارة الرها يعتبر سابقة خطيرة[4] لأنها شجعت بقية امراء الحملة الصليبية الاولى على ان يحذوا حذو بلدوين في تكوين امارات لأنفسهم مما يهدد وحدة وآمن المدن العربية الاسلامية التابعة للسلاجقة، وفعلاً تكونت في بلاد الشام اربع امارات صليبية كما ذكرنا اختلفت اهداف أنشأها باختلاف اصول مؤسسيها، اذ يقول برويز (prawer): «ان امارة الرها أرمينية لورنية، ثم امارة انطاكية التي اسسها بوهيمند امارة نورماندية على طريقة نورمان صقلية وامارة طرابلس التي شيدت على الاسيس التي وضعها ريموند الصنجيل فكانت امارة بروفنسالية ومملكة بيت المقدس امارة لورينية وفرنسية شمالية»[5].

وبناءً على تلك المعطيات نستطيع القول إن الامير مودود حاول استرجاع مدينة الرها من ايدي الصليبيين وخصوصاً اذا علمنا ان امارة الرها تختلف عن بقية الامارات الصليبية إذ انها لم تأخذ قهراً بل تحولت السلطة فيها من حاكم أرميني الى حاكم فرنجي بالتنازل والوصية كما اشرنا.

وذكر ان الامير مودود أولى امارة الرها اهتماماً خاصاً وجعلها هدفاً لعملياته العسكرية في أقليم الجزيرة لما كان يعلمه من خطورة قيام هذه الامارة الصليبية التي تشكل خطراً كبير على خطوط المواصلات بين الموصل وحلب وبين بغداد وأسيا الصغرى، والتي اصبحت فيما بعد مركز لنشاط الصليبين ضد سائر بلاد الجزيرة فشملت غاراتهم مدينة آمـد وماردين ونصيبين والرقة وحران[6] .

---

(1) الجميلي ، إمارة الموصل في العصر السلجوقي ، ص238 .

(2) William of Tyre , A History of Deeds D0ne Beyond the sea Translatedand Annotated by Em york , kery , 1,p.194

؛ الجنزوري ، إمارة الرها الصليبية ، ص71 .

(3) بلدوين الثاني : برديل وقيل بغدوين او بلدوين (Baldwin) احد امراء الحملة الصليبية الاولى، ويُعد مؤسس امارة الرها سنة (491هـ/ 1098م) ، قاد العديد من الحملات والمعارك ضد المسلمين ووقع بالأسر عدة مرات الا أنه يتخلص بمكره وحيلته ودهائه. للمزيد ينظر الى : الذهبي، ابو عبد الله شمس الدين محمد بن علي (ت:748هـ/ 1347م)، تاريخ الاسلام ووفيات مشاهير الاعلام، تح: عمر عبد السلام، ط2، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1993م)، ج34، ص62؛ ديورانت، ويليام جيمس، قصة الحضارة، تر: زكي نجيب، ط1، (بيروت: دار الجيل، 1988م)، ج15، ص52 .

(4) كان بلدوين قد استولى على مدينة تل باشر التي كانت بالقرب من امارة الرها، الامر الذي دعا حاكم الرها الارميني المسيحي ثوروس يطلب مساعدته ضد الاتراك السلاجقة على ان يجعل بلدوين شريكاً له بالحُكم أو حاكماً بعده وهذا ما تم فعلاً بعد وفاته انتقل الحكم الى بلدوين بوصية من حاكمها الارميني . للمزيد ينظر الى : الجنزوري ، إمارة الرها الصليبية ، ص62.

(5) J. prawer , histoire du royatoire du royaume Latin du Latin du Jeruserusalem alem alem du , hebrea pbrea par G.nahonnahon ,paris,1969,T.1.p.249 .

(6) حتي، فيليب، تاريخ العرب المطول، تح: شوقي ابو خليل،ط1، (بيروت: دار الفكر، 1953م) ، ج3، ص762؛ الجميلي، امارة الموصل في العصر السلجوقي، ص238.

بدأت الحملة على الرها بقيادة الامير مودود بن التونتكين سنة (503هـ/ 1110م) بعد ان صدرت الاوامر من السلطان محمد السلجوقي بمواصلة الجهاد ضد الصليبين وقد شارك في هذه الحملة عدد من امراء الاطراف منهم، سكمان القطبي[1] ونجم الدين ايلغازي بن ارتق أمير ماردين في حشد كبير من التركمان وغيرهم من الامراء يتقدمهم الامير مودود نحو امارة الرها فأطبقت جيوشهم الحصار المنيع على المدينة في شوال من السنة ذاتها، وامام هذه الحشود الاسلامية اضطر الكونت بلدوين الى طلب المساعدة من بلدوين الاول ملك بيت المقدس الذى ابدى تخوفه من تنكرد[2] متهماً اياه بتحريض المسلمين على مهاجمة الرها[3] .

وكان بلدوين الاول آنذاك منصرفاً لحصار مدينة بيروت ، فلم يحرك ساكناً الا بعد ان تم له الاستيلاء على المدينة وعندئذ تحركت قواته ومعه برترام[4] أمير طرابلس يسانده وانضم اليه بالقرب من سميساط[5] بعض زعماء الارمن وعلى رأسهم كوغ باسيل[6]، وفجأة قرر الامير مودود الانسحاب عن امارة الرها الى حران، حيث انضمت إليه عساكر دمشق بقيادة الامير طغتكين[7]، ويبدو ان هدف القائد مودود من وراء انسحابه الى حران هو محاولة استدراج الصليبين عن قواعدهم العسكرية ، ليتمكن من لقائهم في الفضاء الممتد شرقي الفرات فيضع لهم فخاً كما حدث في موقعة البليخ سنة (497هـ/ 1104م)[8].

(1) سكمان القطبي : وقيل سقمان ونُسب بالقطبي لأنه كان مملوك لقطب الدين اسماعيل بن الياقوتي بن داود بن جغري بك السلجوقي أمير اذربيجان، تولى الحكم على مدينة اخلاط سنة (493هـ/ 1099م)، توفى في بَالس (ميا فارقين) سنة (506هـ/ 1112م) فجعلوه اصحابه في تابوت وحملوه الى اخلاط ودفن فيها . للمزيد ينظر الى : ابن الاثير، الكامل في التاريخ ،ج12، ص508.

(2) تنكرد : وقيل تانكرد احد امراء الافرنج الصليبين، أصبح اميراً على بلاد الجليل من طبرية الى حيفا ، كان بهي الطلعة شجاع يحب المجد والمال عُجب بيه الصليبين ويرونه المثل الاعلى للفارس المسيحي . للمزيد ينظر الى : ديورانت ، قصة الحضارة ،ج15، ص21.

(3) ابن العديم ، كمال الدين عمر بن احمد (ت:1261/ 660م)، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ط2، (دمشق: بلا. مط، 1954م)، ج3، ص154؛ رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، تر: الباز العريني، (بيروت:1967م)، ج2، ص187 .

(4) لم اعثر له على ترجمة .

(5) سُمَيساط : بضم أوله ، وفتح ثانيه، وبعده ياء ساكنة ، وهي كورة من ديار ربيعة تقع ما بين الجزيرة والشام ، وتُعد من الثغور الجزرية التي تخرج منها الجيوش الاسلامية الى بلاد الروم . للمزيد ينظر الى : البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت:487هـ/ 1094م)، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، ط1، (بيروت: عالم الكتب، 1403هـ)، ج3، ص757.

(6) كوغ باسيل : مغامر أرميني ويُعد احد زعمائهم ، يطلق عليه لقب اللص لأنه استولى على عدة قلاع من الثغور ملكها بعدهُ الارمن، لعب دوراً ايجابياً لصالح الافرنج في الحروب الصليبية في امارة الرها وانطاكية ، واستطاع بسط نفوذه على كيسون ورعبان وبقي فيهما منذ سنة (475هـ/ 1082م) الى ان توفي سنة (506هـ/ 1112م). للمزيد ينظر الى: ابن العبري، أبي الفرج غريغوريوس بن اهرون الملطي (ت:685هـ/ 1286م)، تاريخ مختصر الدول، تح: الاب انطون صالحاني، ط2، (بيروت: دار الرائد اللبناني، 1983م)، ص199؛ الجنزوري، إمارة الرها الصليبية، ص51

(7) طغتكين: هو ظهير الدين المعروف بـ(طغتكين) قائد سلجوقي ثم امير لتاج الدولة تتش السلجوقي على دمشق ثم اصبح اتابكاً للأمير دقاق ، كان شهماً شجاعاً مهيباً سائساً مدبراً له مواقف مشهورة مع الافرنج الصليبين، ولما مرض الاخير وحضرته الوفاة اوصى بولاية طغتكين على دمشق وحضانة ابنه الصغير(تتش الثاني)، توفى الامير طغتكين سنة(522هـ/ 1128م). للمزيد ينظر الى: ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين عبد الحي بن احمد (ت:1089هـ/ 1678م) ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، تح: محمود الارناؤوط، ط1، (دمشق: دار ابن كثير،1986م)،ج6، ص108.

(8) الجميلي ، امارة الموصل في العصر السلجوقي ، ص240 ؛
- Cahen : op . cit . pp . 258
- Grousset : op . cit . 1.p. 454

الا ان بلدوين الاول فطن الى ما هدف اليه مودود وتوقف وقرر توجيه ضربة سريعة بقواته قبل ان يتمكن الامير مودود من تنفيذ خطتهِ، فأرسل الى تنكرد يطلب منه الحضور بعساكره فأسرع الاخير بعبور الفرات ومعه الف وخمسمائة فارس من الافرنج[1]، غير ان الحلف الصليبي هذا لم يلبث ان تفرق وظهرت عليه روح التنافس بين زعماء الحملة فأضطر الامير تنكرد الى الانسحاب الى سميساط بعد ان بلغهُ ان الملك رضوان[2] يستعد لمهاجمة انطاكية، كما جاءت الانباء الى بلدوين الاول بتحرك القوات الفاطمية من مصر وتهديدهم لبيت المقدس فأنسحب عن الرها، ولم يعد بوسع بلدوين الثاني أمير الرها حماية المناطق الواقعة شرقي الفرات فقرر أن يقصر الحاميات على الرها وبعض القلاع الصغيرة ونصح السكان النصارى بضرورة الانتقال الى المناطق الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الفرات ليكونوا اكثر أمناً واستقراراً[3] .

أما الامير مودود الذي كان متواجداً في حران فقد اجتاحت عساكره المزارع والقرى حتى الفرات ، ولما علم بشروع الصليبين في عبور الفرات وتأخر عدد كبير من الارمن في انتظار دورهم بالعبور الى الضفة اليمنى بادر باغتنام هذه الفرصة فشن هجوماً مفاجئ على العدو استطاع من خلاله ان يحقق انتصاراً كبيراً[4] .

(1) رنسيمان، الحروب الصليبية ،ج2، ص189؛ الجميلي، امارة الموصل في العصر السلجوقي ، ص241 .

(2) الملك رضوان : وهو رضوان بن تاج الدولة تُتش بن ألب ارسلان السلجوقي ، صاحب حلب وخلال مدة حكمه استطاع الافرنج الصليبين من انتزاع امارة انطاكية منه ، جاء للحُكم من بعده ابنه ألب ارسلان الملقب بـ (الاخرس)، توفى سنة (507هـ/ 1113م). للمزيد ينظر الى: ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب، ج6، ص27.

(3) عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، ط2، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية ،1971م)، ج1، ص458؛ رنسيمان، الحروب الصليبية ، ج2، ص189.

(4) الجميلي ، امارة الموصل في العصر السلجوقي ، ص241.

إذ ذكر ابن القلانسي خسائر الصليبين في هذا التحرك قائلاً : «غنم المسلمون سوادهم واثقالهم واتوا على العدد من اتباعهم قتلاً وأسراً وتغريقاً وامتلأت الايدي من الغنائم والاسلاب والسبي والدواب»[5]، في حين كان الجيش الصليبي يرى هذا الهجوم ولا يستطيع ان يقدم شيء لتلك الجموع التي اصبحت هدفاً سهلاً لسيوف المسلمين الذين قتلوا منهم الكثير، فعاد بعدها الامير مودود الى حران بعدد كبير من الاسرى والغنائم[6].

وأشارت المصادر العربية الى ان الامير مودود استمر بالجهاد ضد الصليبين واشتبك معهم في عدة مناوشات حربية أخرى لم تنتج عن شيء على الرغم من الانتصارات التي حققها فعاد بعدها الى الموصل دون ان يحقق الهدف الاسمى الذي خرج من أجله في هذه الحملة وهو استرجاع امارة الرها بسبب الخلافات التي حدثت بين أمراء جيشه[7] .

ثالثاً: الحملة الثانية على امارة الرهـا (505هـ/ 1112م)

وحتى تتضح الرؤية بشكل جيد لم يمكث الامير مودود بن التونتكين سوى بضعة أشهر وعاد بعدها الى مهاجمة الرها في ذي القعدة من سنة (505هـ/ 1112م) فحاصرها مدة شهرين دون ان ينال منها فترك جزءاً من جيشه عليها وتوجه الى مدينة سروج المركز الصليبي الثاني والتي تقع شرق الفرات، وهناك انتشرت قواته

(5) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص170.

(6) الجميلي، امارة الموصل في العصر السلجوقي، ص241 – 242.

(7) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص178؛ ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، ج2، ص122؛ سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف (ت:654هـ/ 1256م)، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، تح: ابراهيم الزيبق، ط1، (بيروت: دار الرسالة العالمية، 2013م)، ج8 ، ص4.

دون ان تتخذ الحيطة والحذر من العدو فأستغل الامير جوسلين[1] هذه الفرصة فهاجمه وانزل بجيشه الهزيمة، فأضطر الامير مودود الى الانسحاب نحو الرها فسبقه جوسلين إليها وانضم الى بلدوين للدفاع عنها[2].

وذكر أن سكان امارة الرها من الارمن في هذه الفترة تبرموا من سوء معاملة الصليبين لهم وتطلعوا للتخلص من حكمهم ، فعملوا مع اتباع مودود على تدبير مؤامرة ضد بلدوين تهدف الى تسليم الرها الى الامير مودود، وتضيف الرواية بان الارمن راسلوا مودود واتفقوا على مساعدته في الاستيلاء على احدى القلاع في الجانب الشمالي من المدينة ليسهل عليه بعد ذلك اقتحامها، الا ان وصول جوسلين الى الرها احبط هذا المخطط، فأسرع بدخول القلعة بعد ان علم بالخطة واجهز على المنفذين وحال دون وصول عساكر الامير مودود اليها[3]، فانتهت الحملة الثانية على الرها بالفشل.

(1) جوسلين: احد فرسان الافرنج وأمير تل باشر جمع بين الشجاعة والرأي وهو ابن اخت الامير بغدوين الثاني امير الرها، اشترك في حملات ومعارك كثيرة ضد المسلمين، الا أنه في سنة (546هـ/ 1151م) تمكن التركمان من أسره عندما أغار عليهم واخذ منهم امرأة جميلة خلا بها تحت الشجرة فتمكنوا من أسره واحضروه للأمير نور الدين محمود فأعطى من أسره عشرة الاف دينار، وكان ذلك من اعظم الفتوح، بذل جوسلين اموالاً كثيرة لفداء نفسه فاطلقه الامير نور الدين الا انه مات قبل ان يخرج من الشام . للمزيد ينظر الى : ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج3، ص23؛ ابن الوردي ، عمر بن مظفر (ت:749هـ/ 1348م)، تاريخ ابن الوردي، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية ، 1996م)، ج2، ص50.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ج1، ص492 ؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول ، ص199.

(3) الجميلي ، امارة الموصل في العصر السلجوقي ، ص248 ؛

An0ny mous Syriac chronicle : The firt and se-cand cru – sades from An Anony mous Syria chronicle journal of the Royal Asiatic society . London 1933 .

المبحث الثالث

أولاً : موقعة الصنبرة (506هـ/ 1112م) :

لم يكن اهتمام أمير الموصل بإمارة الرها الصليبية يحول دون مشاركتهُ في عمليات عسكرية اخرى في بلاد الشام ، فقد كان الامير مودود منذ عودته الى الموصل وبعد حملته الاخيرة يتطلع للقيام بعمل ناجح ضد الصليبين يحقق من خلاله نصراً حاسماً على العدو بعد ان اخفق في حملته الثانية على الرها، وقد اتيحت له هذه الفرصة عندما استنجد به طغتكين ضد بلدوين الاول صاحب بيت المقدس لما عُرف عن مودود من حماسته لقتال الافرنج الصليبين[4].

وبالفعل ما ان تلقى طلب العون من طغتكين حتى اسرع بالخروج من الموصل على رأس جيش وعبر نهر الفرات في شهر ذي القعدة من سنة (506هـ/ 1112م) ولما علم طغتكين بوصول عساكر مودود سارع للقائه عند مدينة سلمية جنوب شرق حماة، واتفقا على مواجهة بلدوين الاول ، واخذ مودود يشن هجماته على بعض مناطق دمشق ، وتقدم نحو طبرية المنيعة واحاط بها[5].

وكان بلدوين الاول مقيماً في مدينة عكا فلما بلغه نبأ تقدم المسلمين نحو طبرية استنجد بالقوى الصليبية المتواجدة بالمنطقة، فأسرع لنجدته روجر[6] أمير انطاكية

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص182؛ الجميلي، امارة الموصل في العصر السلجوقي ، ص249.

(5) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص492 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان ،ج8، ص59 ؛ الجميلي، امارة الموصل في العصر السلجوقي ، ص249.

(6) روجر: هو الكونت روجر (Roger) وقيل روجار، احد امراء الافرنج وأمير انطاكية، جاء مع الحملة الصليبية الاولى لغرض الحج الى بيت المقدس. للمزيد ينظر الى: الشيزري، مؤيد الدولة مجد الدين اسامة بن مرشد (ت:584هـ/ 1188م)، الاعتبار، تح: فيليب حتي، ط1، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت)، ص118.

وبونز[1] امير طرابلس، الا ان حشود المسلمين وصلت الصنبرة قبل ان تصل الامدادات الى بلدوين الاول، فما ان بلغت قواته جسر الصنبرة الذي يقع جنوب غرب بحيرة طبرية حتى وقعت بالكمين الذي نصبه لها الامير مودود وطغتكين ودارت بين الطرفين معركة ضارية في اواخر شهر ذي القعدة من سنة (506هـ/ 1112م) انتهت بهزيمة نكراء لحقت بالصليبين وقتل منهم عدد كبير بلغ حوالي الفي قتيل ووقع الملك بلدوين نفسه في الاسر دون ان يميز فأُخذ سلاحه واطلق سراحه بعد ذلك، كما غرق عدد كبير من رجاله في بحيرة طبرية ونهر الاردن واستولى فيها المسلمون على اموالهم واسلحتهم[2].

ثم وصلت الامدادات الى العساكر الصليبية من انطاكية وطرابلس الامر الذي اعاد الثقة الى بلدوين الاول وقرر استئناف القتال ضد المسلمين الا انه التزم جانب الحيطة والحذر حتى لا تتكرر الهزيمة فأثر الانسحاب بجيشه الى جبل يقع غربي طبرية فتحصن به لصعوبة مرتقاه ، وظل الفرنج الصليبين قابعين فوق ذلك الجبل مدة ستة وعشرين يوماً والمسلمون بإزائهم يرمونهم بالسهام فيصيبون من يقترب منهم ، كما منعت الميرة والمؤن عنهم لعلهم يخرجون الى قتال المسلمين لكن الصليبين ادركوا ما يرمي اليه الامير مودود فامتنعوا عن النزول[3].

أتاح هذا الوضع الحرج الذي وضع الصليبيون فيه انفسهم الحرية للأمير مودود في شن هجماته على المراكز والقلاع الصليبية المنتشرة في اقليم الجليل[4] فوصلت غاراته الى مدينة بيسان واجتاح البلاد الواقعة ما بين مدينتي عكا والقدس، ثم قرر الامير مودود وطغتكين التوقف عن القتال والعودة الى دمشق على أمل العودة للاجتماع في الربيع القادم لاستئناف القتال، فدخلا مدينة دمشق في الحادي والعشرين من شهر ربيع الاول من سنة (507هـ/ 1113م)[5]، ويبدو ان معركة الصنبرة كانت من اواخر المعارك التي خاضها أمير الموصل مودود بن التونتكين ضد الافرنج الصليبين اذ تم اغتياله في دمشق كما سنلاحظ ذلك .

ثانياً : وفــاة الامير مودود بن التونتكين

أشار المؤرخون بأن الامير مودود بن التونتكين بعد عودته من حملته الاخيرة دخل مدينة دمشق سنة (507هـ - 1113م)، عازماً على البقاء فيها بعد ان أذن للعساكر بالعودة لأوطانهم على ان يعودوا للتجمع بفصل الربيع كما ذكرنا انفاً[6].

---

(1) بونز: هو الكونت بونز احد امراء الافرنج الصليبين وأمير طرابلس، قُتل سنة (531هـ/ 1136م) في أحدى الحملات العسكرية. للمزيد ينظر الى: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج36، ص203.

(2) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص182؛ ابن الاثير، الكامل في ،ج1،ص492.

(3) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ج12، ص512؛ الذهبي ، العبر في خبر من غبر، تح: محمد السعيد ،ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م) ، ج4، ص12.

(4) اقليم الجليل : اقليم يقع شمال فلسطين ، وجبل الجليل جبل ضخم في شمال فلسطين يشرف على بحيرة طبرية من الغرب وعلى ساحل عكا من الشرق من مدنه صفد والناصرة ، قال الشاعر :

فلولا ربنا كنا يهـوداً..... وما دين اليهود بذي شكـول
ولولا ربنا كنا نصارى ..... مع الرهبان في جبل الجليل .

للمزيد ينظر الى : شُراب ، محمد بن محمد ، المعالم الاثيرة في السنة والسيرة، ط1، (دمشق: دار القلم ،1411هـ)، ص91.

(5) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق ، ص182؛ ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر،ج4، ص145؛ الجميلي، امارة الموصل في العصر السلجوقي، ص251 .

(6) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص187؛ ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بـ(الموصل)، تح :عبد القادر احمد ،ط1، (القاهرة: دار الكتب الحديثة ،1963م)، ص19؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ،ج5، ص49.

ويبدو أنه أراد من هذا التصرف ان يستغل فترة الشتاء للاستراحة وحماية عساكره ومن ثم جمع الجيوش من جديد واستئناف قتال الصليبيين مرة أخرى .

وينقل لنا سبط ابن الجوزي رواية تاريخية بها شيء من التفصيل عن مقتل الامير مودود اذ قال: «... وجاء الى الشام لمساعدة أتابك طُغتكين ، وكسر الفرنج ، وعاد مع أتابك الى دمشق، ونزل في الميدان الاخضر، وكان يدخل كل جمعة الى دمشق، فيصلي بالجامع، ويتبرك بمصحف عثمان رضوان الله عليه ، فدخل الجامع على عادته ، ومعه أتابك ، والغلمان حوله بالسيوف المُسلة، وأنواع السلاح...»[1].

ويبدو لنا هنا ان طَغتكين كان ملازماً للأمير مودود خلال تواجده في المدينة وذلك لخدمته وحمايته فضلاً عن حرسه الخاص المرافقين له كما ذكر، وعلى الرغم من ذلك لم يسلم الامير من محاولة الاغتيال .

اذ تشير الرواية «...وأتابك بين يديه خدمةً له ، فلما حَصَلا في صحن الجامع وثب رجلٌ من بين الناس لا يؤبه له، ولا يُحفلُ به ، فَقَرب من مودود كأنه يدعو له ويتصدق منه، فلزم بند قبائه، وضَربه بخنجر أسفل سُرته ضربتين احدهما نفذت الى خاصرته، والاخرى الى فَخذه، والسيوف تأخذه من كل ناحية، وقطع رأسه ليعرف شخصه، فما عُرف وأحرق، وعدا أتابك خُطوات وقت الكائنة، وأحاط به اصحابه، وَرَجعَ الى مودود وهو يمشي، فتماسك ووقع عند الباب الشمالي من الجامع، وحُمل الى دار أتابك، وخيط جُرحه، فعاش ساعات يسيرة ومات من يومه، فقلق أتابك لوفاته على هذا الوجه، وحزن حُزناً شديداً ، وكذا سائر الناس»[2]، وتذكر الرواية أيضاً ان الامير مودود كان صائماً في ذلك اليوم فبعد أن حُمل الى دار طغتكين سأله ان يفطر فلم يفعل وقال: «والله لا لقيت الله الا صائماً»[3].

ولعل من المناسب هنا أن نذكر بعض الاتهامات التي وجهت الى الاتابك طغتكين واحاول الرد عليها بالأدلة، إذ قيل هو الذي دبر لعملية اغتيال الامير مودود بعد ان خاف من تزايد نفوذه وقوته[4]، ولكن على النقيض من ذلك أشار ابن القلانسي الى حالة القلق والانزعاج الذي اصابت طغتكين فذكر قائلاً: «...فقلق أتابك لوفاته على هذه القضية وتزايد حزنه وأسفه وانزعاجه وكذلك سائر الاجناد والرعية وتألموا لمصابه وزاد التأسف والتلهف عليه»[5]، وفي ذات السياق قال سبط ابن الجوزي «وذكر بعضهم ان أتابك خاف منه فوضع عليه من قتله، وليس بصحيح فإنه كان أحب الناس له، وحزن عليه حُزناً عظيماً، وشق ثوبه عليه، وجلس في عزائه سبعة أيام، وتصدق عنه بمالٍ جزيل»[6].

ونستنتج من ذلك ان الأتابك طغتكين كان على علاقة جيدة بالأمير مودود وخصوصاً اذا ما علمنا بأنه هو الذي أستنجده لمؤزرته في حروبه ضد الافرنج الصليبيين .

بعدها كُفن الامير مودود بن التونتكين وصُلي عليه ودُفن وقت صلاة العصر من اليوم ذاته داخل باب الفراديس بدمشق وجموع المُعزين حوله يودعونه بالبكاء والحزن ، ثم شرع أصحابه في العودة الى الموصل بعد انتهاء مراسيم العزاء، فأمر لهم الأتابك طغتكين بتوفير ما يحتاجونه لسفرهم ، فاصطحبوا معهم أمواله وجواريه ، ولم يزل مدفوناً في ذلك المشهد مخدوم القبر

(1) مرآة الزمان في تواريخ الاعيان ،ج20، ص75.
(2) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ج20، ص76.
(3) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ،ج12، ص513 .
(4) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ،ج12، ص514؛ ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر(ت:774هـ/ 1373م)، البداية والنهاية في التاريخ ، تح: احسان عبد المنان، ط1، (بيروت: بيت الافكار الدولية ،2004م)، ج2، ص1872 .
(5) ذيل تاريخ دمشق ، ص187.
(6) مرآة الزمان في تواريخ الاعيان،ج20، ص76 .

حتى بعثت زوجته ولدها في اواخر شهر رمضان من العام نفسه لإحضار رفاته فحملوه في تابوت الى الموصل وقد شيعهُ الأتابك طغتكين الى ثنية المدينة[1].

ومن النوادر المبكيات ما ذكره المؤرخون بعد مقتل الأمير مودود من أن ملك الفرنج في بيت المقدس بلدوين الأول كتب كتاباً إلى طغتكين جاء فيه : «أن أمة قتلت عميدها ، يوم عيدها ، في بيت معبودها، لحقيق على الله أن يبيدها»[2].

الخاتمة :

أن الباحث لا يرى في هذا البحث المتواضع فصل الختام لحياة الأمير مودود بن التونتكين وإنما هي محاولة لتقديم جانب من دورهُ السياسي في الدولة السلجوقية والحروب الصليبية، ويمكن تلخيصها بالنقاط الآتية :

1. يُعد الأمير مودود بن التونتكين من أبرز قادة السلطان محمد بن ملكشاه، حيث تمتع بشجاعة ومهارات عسكرية وكفاءة عالية في تنفيذ المهام الموكلة اليه.
2. استطاع خلال مدة زمنية بسيطة كسب ود اهل الموصل لأنه سار بينهم بالعدل والاحسان فأحبه الجميع ودانوا له بالولاء والطاعة وعلى أثر ذلك استطاع القضاء على الفتن والاضطرابات الداخلية الموجودة في المدينة .
3. تمكن الامير مودود بن التونتكين من خلال مراسلة بعض امراء الجيوش الاسلامية من توحيد الجهود والجيوش تحت راية وهدف واحد وهو طرد الغزو الصليبي من البلاد الاسلامية .
4. كان له الدور كبير في ضرب اهم المعاقل ومراكز القوة الصليبية وهي أمارة الرها اذ شن عليها عدة حملات عسكرية كان لها الاثر الكبير وعلى الرغم من عدم نجاحها الا انها اعطت بُعداً سياسياً وعسكرياً للمسلمين مهدت الطريق لاسترجاعها مستقبلاً .
5. استطاع ان يحقق انتصار كبير على الافرنج الصليبين في معركة الصنبرة سنة (506هـ/ 1113م) والتي انتهت بهزيمة نكراء لحقت بهم ووقوع الملك بلدوين الاول نفسه في الاسر، وغنم بها المسلمون فيها غنائم كثيرة وهذا بحد ذاته اضعف قوتهم .
6. يُعد التعاون الاول بين أمارة الموصل ودمشق في حربها ضد الصليبين في مملكة بيت المقدس ، وقد استطاع الامير مودود في أعادة الثقة للمسلمين فتحولوا من موقع الدفاع إلى الهجوم في علاقاتهم مع الصليبين وبلورة فكرة الاتحاد بين امراء المسلمين، وإعطائهم بُعداً عسكرياً وسياسياً .

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص187؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان ،ج20، ص76.

(2) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص188 ؛ ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ، ص19؛ ابن كثير، البداية والنهاية ،ج2، ص1872 .

المصادر والمراجع

المصادر الاولية :

- ابن الاثير ، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ت:630هـ/ 1232م) .

1. التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية (بالموصل)، تح: عبد القادر احمد، ط1، (القاهرة: دار الكتب الحديثة، 1963م) .
2. الكامل في التاريخ، تح: مكتب التراث ،ط2، (بيروت: دار إحياء التراث العربي ، 2009م) .

- الاصطخري، ابراهيم بن محمد (ت:346هـ/ 957م)

3. المسالك والممالك، ط1، (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة ، د.ت).

- البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت:487هـ/ 1094م)

4. معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، ط1، (بيروت: عالم الكتب ، 1403هـ) .

- الحسيني، صدر الدين ابي الحسن علي بن أبي الفوارس(ت: د.ت)

5. اخبار الدولة السلجوقية، (طهران: مطبعة لاهور، 1933م) .

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون (ت:808هـ/ 1406م)

6. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر المسمى بـ (تاريخ ابن خلدون)، تح: خليل شحاذة، ط1، (بيروت: دار الفكر ، 2000م).

- الذهبي، ابو عبد الله شمس الدين محمد بن علي (ت:748هـ/ 1347م) .

7. تاريخ الاسلام ووفيات مشاهير الاعلام ، تح: عمر عبد السلام، ط2، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1993م) .

8. العبر في خبر من غبر، تح: محمد السعيد ،ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية ، 1990م).

- ابو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل (ت:665هـ/ 1267م) .

9. الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح: ابراهيم الزيبق ، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية ، 1997م) .

- الشيزري، مؤيد الدولة مجد الدين اسامة بن مرشد (ت:584هـ/ 1188م)

10. الاعتبار، تح: فيليب حتي ،ط1، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت) .

- سبط ابن الجوزي ، شمس الدين أبي المظفر يوسف (ت:654هـ/ 1256م)

11. مرآة الزمان في تواريخ الاعيان ، تح: ابراهيم الزيبق، ط1، (بيروت: دار الرسالة العالمية، 2013م) .

- ابن العبري، غريغوريوس بن اهرون الملطي (ت:685هـ/ 1264م) .

12. تاريخ مختصر الدول ، تح: الاب انطون صالحاني، ط2، (بيروت: دار الرائد اللبناني، 1983م) .

- ابن العديم ، كمال الدين عمر(ت:1261/ 660م)

13. زبدة الحلب في تاريخ حلب، ط2، (دمشق: بلا. مط ، 1954م) .

- ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين عبد الحي (ت:1089هـ/ 1678م)

14. شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، تح: محمود الارناؤوط، ط1، (دمشق: دار ابن كثير، 1986م).

- الفارقي، احمد بن يوسف بن علي بن الازرق (ت:577هـ/ 1181م) .

15. تاريخ آمد وميافارقين ، تح: بدوي عبد اللطيف عوض، ط1، (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، 1959م) .

• ابو الفدا، عماد الدين اسماعيل بن علي (ت:732هـ/ 1331م)
16. المختصر في أخبار البشر، تح: محمد زينهم ،ط1، (القاهرة: دار المعارف ،1962م).
• ابن القلانسي ، أبي يعلى حمزة (ت:555هـ/ 1160م).
17. ذيل تاريخ دمشق ،ط1، (بيروت: مطبعة الآباء، 1908م) .
• ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر (ت:774هـ/ 1372م)
18. البداية والنهاية في التاريخ ، تح: احسان عبد المنان، ط1، (بيروت: بيت الافكار الدولية، 2004م) .
• ابن واصل ، محمد بن سالم بن نصر الله (ت:697هـ/ 1298م)
19. مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تح: جمال الدين الشيال وآخرون ، ط1، (القاهرة: المطبعة الاميرية ، 1997م) .
• اليافعي ، عبد الله بن اسعد بن علي (ت:768هـ/ 1366م)
20. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، (بيروت: دار الكتب العلمية ، 1970م) .

المراجع الحديثة :

• الجميلي ، رشيد عبد الله
1. امارة الموصل في العصر السلجوقي، (بغداد: مكتبة المهتدين الاسلامية ، 1980م) .
• الجنزوري ، علية عبد السميع
2. إمارة الرهـا الصليبية، ط1، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب ،2001م)
• حتي ، فيليب
3. تاريخ العرب المطول، تح: شوقي ابو خليل، ط1، (بيروت: دار الفكر ، 1953م) .
• ديورانت ، ويليام جيمس
4. قصة الحضارة ، تر: زكي نجيب ، ط1، (بيروت: دار الجيل ، 1988م) .
• رنسيمان ، ستيفن
5. تاريخ الحروب الصليبية، تر: الباز العريني، (بيروت:1967م) .
• الرويضي، محمود محمد فالح
6. أمارة الرها الصليبية (490 – 550هـ/ 1097 – 1155م) أطروحة دكتوراه منشورة ، الجامعة الاردنية ، كلية الدراسات العليا ، 1997م .
• شراب ، محمد بن محمد .
7. المعالم الاثيرة في السنة والسيرة ، ط1، (دمشق: دار القلم ،1411هـ) .
• السرجاني، راغب
8. قصة الحروب الصليبية ، ط2، (بيروت: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع ، 2009م) .
• عاشور، سعيد عبد الفتاح
9. الحركة الصليبية، ط2، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية ، 1971م) .

المصادر الاجنبية :

(1) William of Tyre , A History of Deeds D0ne Beyond the sea Translatedand Annotated by Em york , kery , 1,p.194 .
(2) J. prawer , histoire du royatoire du royaume Latin du Latin du Jeruserusalem alem alem du , hebrea pbrea par G.nahonnahon ,paris,1969,T.1.p.249 .
(3) An0ny mous Syriac chronicle : The firt and secand cru - sades from An Anony mous Syria chronicle journal of the Royal Asiatic society . London 1933 .
(4) Cahen : op . cit . pp . 258 .
(5) Grousset : op . cit . 1.p. 454